



ثمار الوحيين

من الحفظ إلى العمل



زكريا العيدوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى كل حافظٍ لا يرضى أن يكون القرآنُ حروفاً بلا
حياة، ولا أن تكون السنةُ ألفاظاً بلا أثر، إلى من يبتغي
أن يجني من الوحيين ثماراً دانيةً...

أهدي هذا الكتاب.

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، إِيَّاهُ نَعْبُدُ وَبِهِ نَسْتَعِينُ، والصلاةُ والسلامُ على
الصادق الأمين. أمّا بعد، فبعد رحلةٍ عامرةٍ بحفظ كتاب الله، ومدارسة
سنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، حيث كانت رسائل الجزء الأول من
هذا الكتاب محطاتٍ في درب الحفظ والتثبيت، ها نحن نواصل السير
معكم في محطةٍ جديدة.

لقد كان ذلك الجزء بدايةً الغرس: غرس الحروف في الصدور، وأمّا
هذا الجزء فهو بداية الثمار: كيف نجعل ما حفظناه حياة نعيشها؟
وكيف نصون الوحيين من الهجر والغفلة؟ وكيف نرتقي من الترديد
باللسان إلى التدبر بالجَنان والعمل بالجوارح؟

إنَّ ثمار الوحيين رحلةٌ أوسع وأعمق، لا تقف عند الحفظ، بل تنطلق
إلى التطبيق، لتضيء حياة الحافظ، وتغدو زادًا يرافقه في دنياه، نورا
بين يديه يوم يلتقى مولاه.

شمار القرآن

1. فضل الاستماع إلى القرآن الكريم

إنّ للقرآن الكريم تجليات عظيمة تنهمر، على قارئه أو مستمعه كالغيث المدرار؛ فما من أحد تعلّق به تلاوةً أو حفظاً أو سماعاً إلا فتحت له أبواب الخير والبركة، وتضاعفت حسناته، بل وحتى الحرف الواحد منه يكتب به أجر عظيم. وليس هذا الفضل مقصوراً على التلاوة فحسب، بل يتعدّاها إلى الاستماع، تلك النعمة التي غفل عنها كثيرٌ من الناس.

قال الله تعالى في سورة الأعراف: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ".

تأمّل قوله: "استمعوا"، ولم يقل "اسمعوا"؛ فالسمع قد يكون مجرد وصول الصوت إلى الأذن دون تدبّر أو شعور؛ أما الاستماع فهو سماع مقترن بتفكيرٍ وتأمل، يشارك فيه القلب والعقل معاً.

وهنا تظهر القاعدة البلاغية: "زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى".

ثم جاء الأمر الإلهي: "وأنصتوا"، أي التزام السكون والهدوء، وعدم الانشغال بالحركة أو الكلام عند تلاوة القرآن، حتى يتسع القلب لفهم المعاني والتأثر بها. فالمطلوب إذاً أن نجمع بين "الاستماع الواعي" و"الإنصات التام"، ليكون القرآن له الأثر الأعظم في نفوسنا.

وليس أثر الاستماع مقصوراً على الجانب الروحي فحسب، بل له انعكاسات عجيبة على النفس والجسد أيضاً؛ فقد أثبتت بعض الدراسات أن الاستماع المتأمل للقرآن يساعد على تهدئة الجهاز العصبي، ويقوي جهاز المناعة، ويمنح صاحبه طمأنينة وذاكرة قوية. بل هناك أبحاث تشير إلى أنّ تلاوة القرآن بتردداته الخاصة قد تؤثر إيجابياً في مقاومة بعض الخلايا الضارة.

وفي الختام: فلنجعل لأنفسنا وردّاً ثابتاً من الاستماع، ولو عشر دقائق يومياً، نستحضر فيه قلوبنا ونحن نسمع كلام الله؛ عسى أن نكون من المرحومين برحمته، المغمورين بنوره

أمثلة من السيرة والقرآن:

- **استماع الصحابة للقرآن:** لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم على المشركين في مكة، أصغوا حتى أنصتوا جميعاً، وفي النهاية سجدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم من شدة التأثير (رواه البخاري). وهذا يبين أن حتى غير المسلمين خضعوا لتأثير الاستماع.
- **قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:** طلب منه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه القرآن، فلما وصل إلى قوله تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا جَنَّائِمِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجَنَّا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا" سورة النساء: 41، بكى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "حسبك الآن" (رواه البخاري). هذا نموذج للاستماع المتأثر والمخضع.
- **وفد النجاشي:** عندما قرأ عليهم الصحابي جعفر بن أبي طالب سورة مريم، بكى النجاشي ومن معه حتى أخضوا لحاهم من شدة التأثير.

2. هجر القرآن الكريم

قال الله تعالى في سورة الفرقان: "وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا".

*معنى الهجر

الهجر في اللغة هو الترك والإعراض، وفي اصطلاح العلماء: أن يترك العبد الانتفاع بالقرآن في أي جانب من جوانب حياته، سواء في التلاوة، أو الحفظ، أو التدبر، أو العمل. وهو ليس تركًا ظاهريًا فحسب، بل قد يكون تركًا باطنيًا في القلب، حين لا يعيش الانسان مع القرآن حقًا، ولا يتأثر به.

*عواقب الهجر

إن هجر القرآن أعظم خسارة قد يتعرض لها المسلم، لأنّه يقطع الصلة بين العبد وربّه. من عواقبه:

- في الدنيا: قسوة القلب، ضيق الصدر، فقدان الطمأنينة، الاضطراب النفسي، والانشغال بسفاسف الأمور.

- في الآخرة: أن يكون العبد داخلاً في شكوى النبي صلى الله عليه وسلم: "وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا"، وأن يحرم من شفاعة القرآن يوم القيامة، بل قد يكون القرآن خصماً له لا شفيعاً.

صور الهجر الخمس

وقد بيّن العلماء أن لهجر القرآن خمسة أوجه:

- هجر القراءة: أن لا يحمل المسلم المصحف الا نادراً، وربما لا يتلوه الا في رمضان. فإذا انقضى الشهر، انقضت علاقته بالقرآن.

مثال من واقع الناس: أذكر أنني رأيت رجلاً في الحي، كلما دخل بيته، أول ما يفعله هو تشغيل التلفاز. لا يغلقه ليلاً ولا نهاراً، كأنه لا يأنس إلا بضجيجهم؛ أما المصحف، فقد علاه الغبار فوق رف عالٍ، لا تمتد إليه يد، ولا يفتح إلا إذا مات أحد أقاربه ليقرأ عليه. حين نظرت إلى المشهد أدركت معنى الآية الكريمة تعالى: "

- **هجر الحفظ:** أن يظن المرء أن الحفظ نافلة لا قيمة لها، مع أن حفظ الشيء من القرآن هو فرض لصحة الصلاة. ثم إنّ التنافس في الحفظ رفعة في الدنيا والآخرة.

مثال عن الشباب: شاب أعرفه يحفظ أسماء لاعبي كرة القدم واحدًا واحدًا؛ يذكر لك أهدافهم، وتواريخ انتقالاتهم، وأرقام قمصانهم، بل وحتى تفاصيل حياتهم الخاصة. لكنه إذا سأله: كم سورة تحفظ من القرآن؟ صمت و خجل، وربما غيّر الموضوع. هنا فهمت أنّ الهجر ليس دائمًا عن جهل بل قد يكون عن انشغالٍ عن بما لا ينفع.

- **هجر السماع:** أن ينشغل العبد بسماع كل شيء سوى القرآن؛ قد يستمع لساعات من الغناء واللهو، و يعجز أن ينصت لسورة قصيرة، و كأن أذنه ضاقت عن كلام الله

المثال الثالث من رمضان : في رمضان تعج المساجد بالقراء و الخاشعين، تسمع أصوات التلاوة من كل بيت، و القرآن الكريم في الصدارة. فإذا انقضى رمضان عادت المصاحف إلى أماكنها العالية،

و أغلقت الصفحات، وعاد الناس إلى صخب الدنيا، كأن القرآن ضيف موسمي، و ليس رفيق الحياة. و هذا، والله، من صور الهجر التي نخشى ان نحاسب عليها .

● **هجر التدبر :** أن يقرأ القرآن كما يقرأ الصحف اليومية، بلا

فهم ولا تأمل، مع أن الله عاتب من يفعل ذلك، فقال: "أَفَلَا

يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا".

المثال الرابع : من حياتنا اليومية، كم مرة فتحنا هواتفنا لنقرأ

عشرات الرسائل و الإشعارات، و لم نفتح المصحف لنقرأ عشرة

آيات؟

كم مرة جلسنا ساعات كاملة امام مسلسل أو مباراة، و لم نصبر ربع

ساعة مع سورة الكهف يوم الجمعة؟ هذه الموازنات تكشف لنا هل

نحن اهل القرآن ام أننا هجرناه دون ان نشعر .

● **هجر العمل :** و هو أخطرها جميعًا، أن يقرأ العبد الأوامر و

النواهي، ثم لا يطبقها، فيكون القرآن حجة عليه لا له .

المثال الخامس : من القلب، أحياناً أجلس مع نفسي، فأقرأ صفحة من كتاب الله، ثم أضعه جانباً و أفكر: لو جاءني ملك الموت الآن، ماذا سأقول لربي حين يسألني: أهملت كلامي و أقبلت على كلام البشر؟ عندها أستشعر ثقل الهجر، و أدرك أنّ النجاة لا تكون إلا بالعودة إلى القرآن .

إنّ هجر القرآن ليس خطأ عابراً، بل هو جرح عميق في صلة العبد بربه، لذلك، علينا ان نراجع انفسنا: هل نحن من أهل القرآن حقاً، أم من المعرضين عنه؟ فلنبداً بخطوات يسيرة :

- أن نجعل لأنفسنا ورداً يومياً، و لو صفحة واحدة .
- ان نستم يومياً لسورة نتأملها .
- أن نحفظ شيئاً جديداً أو نراجع محفوظنا .
- أن نسعى للعمل بما نقرأ، فذلك هو الغاية .

فليكن شعارنا : "أن لا نهجر القرآن في أي حال، حتى لا نكون من الذين شكاهم الحبيب عليه الصلاة و أزكى التسليم "

3. تدبر القرآن الكريم

القرآن الكريم ليس كتابًا يقرأ بالألسن فحسب، ولا كلمات ترتل بالأصوات الجميلة فقط، بل هو كتاب حياة، أنزله الله ليتدبر ويفهم ويعمل به. وقد قال تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء: 82)

وقال سبحانه: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا". (محمد: 24).

فالتدبر هو المفتاح الذي يفتح أقفال القلوب، وهو الطريق لفهم كلام الله، والسبيل للاهتداء بهديه.

❖ ما هو التدبر؟

التدبر هو النظر في آيات القرآن بعين التأمل والتفكير، بغرض فهم المعنى، واستنباط الدروس، وربطها بالواقع العملي في حياة المسلم. إنه ليس مجرد ترديد للآيات، بل هو رحلة إيمانية عميقة تثمر فهما، وتورث خشية، وتدفع للعمل.

❖ ثمار التدبر

يورث القلب حياة وطمأنينة، قال ابن القيم: إذا أردت أن تعلم عند الله مقامك فانظر في قلبك أين مقام القرآن منه".

يزيد الإيمان، قال تعالى: "وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ".
يصحح السلوك ويهذب الأخلاق. يفتح أبواب الهداية واليقين.

❖ أمثلة عملية للتدبر

حين تقرأ قول الله تعالى عن قصة يوسف عليه السلام: "إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"، تقف عندها لتتأمل أن
التقوى والصبر هما سبيل النجاة مهما اشتدت الفتن.

وعند تلاوة قوله تعالى: "إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" تدرك أن وراء كل ضيق فرجا، وأن رحمة الله أوسع من همومك.

وفي مشاهد القيامة، كقوله تعالى: "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لَكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يَغْنِيهِ". يقف القلب متزلزلا أمام هول ذلك اليوم، فيدفعه ذلك للاستعداد له بالعمل الصالح.

فمن أراد أن يعيش مع القرآن فطريقه التدبر. ومن أراد أن "ينطق القرآن على لسانه ويظهر في عمله"، فلا سبيل له إلا التدبر.

4. التفسير يعين على الحفظ

من التجارب النافعة التي يسلكها معلّمو المدارس القرآنية في تحفيظهم للصبية والطلبة؛ أنّهم لا يقتصرون على ترديد والتكرار، بل يجعلون الفهم ركيزة للحفظ. فالآيات حين تفهم معانيها، ترسخ في الذهن رسوخاً عجيباً؛ وكأنّها مشاهد حيّة يراها الطالب بعينه، فيثبت حفظه ويصفو قلبه. ومن هنا جاء اعتماد بعض المعلمين على تفسير الورد اليومي الذي يحفظه الطالب، ليجمع بين التلاوة والفهم.

➤ معنى التفسير:

- لغةً: هو الكشف والإيضاح والبيان.
- اصطلاحاً: هو بيان معاني آيات القرآن الكريم حسب مراد الله تعالى، بما يتّسع له جهد البشر.

➤ أنواع التفسير:

- تفسير القرآن بالقرآن:

وهو أقوى أنواع التفسير، لأن الله يفسر كلامه بكلامه. مثال:
قوله تعالى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"

(الفاتحة:6)، قد جاء بيانه في قوله: "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ
أُولَئِكَ رَفِيقًا (النساء: 69) مثال آخر: قوله: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الطَّارِقُ 2 النَّجْمُ الثَّاقِبُ
(الطارق:2-3)

● تفسير القرآن بالسنة:

فالسنة جاءت مبيّنة لما أجمل في القرآن. مثال: قال تعالى: "وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ" (البقرة:43)، ولم يبين في القرآن كيفية أدائها، فجاءت السنة
لتوضح الأركان والهيئات وعدد الركعات. وكذلك قوله: "وَأَتُوا
الزَّكَاةَ"، فالسنة بينت مقادير الزكاة وأنصبتها.

● تفسير الصحابة

فهم أعلم الناس بكلام الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاصة
من عرف بسعة علمه وفهمه، مثل ابن عباس رضي الله عنهما، الذي

لقب ب"ترجمان القرآن". مثال: عند تفسير قوله تعالى: "إِنَّ الصَّافَّاءَ وَالْمُرَّوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ" (البقرة: 158)، قال ابن عباس: "كان على الصفا صنم، وعلى المروة صنم، وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام ترك المسلمون المسح، وبقي السعي".

● التفسير بالرأي المعتمد:

وهو اجتهاد يقوم به العلماء المؤهلون، إذا توفر لهم العلم باللغة والشرع، وكان مقصدهم بيان الحق. مثال: اجتهاد الإمام القرطبي في تفسير كثير من آيات الأحكام، بما يوافق نصوص الشرع ومقاصده.

➤ أشهر المفسرين

- الإمام ابن جرير الطبري (شيخ المفسرين وصاحب جامع البيان).
- الإمام ابن كثير الدمشقي (صاحب تفسير القرآن العظيم)
- الشيخ عبد الرحمن السعدي (صاحب تيسير الكريم الرحمان)
- الإمام القرطبي

فالذي يحفظ القرآن وهو يفهم معانيه، إنّما يحفظ كلام الله في صدره وعقله معاً، فلا يضيع منه ما وعاه، بل يعيش مع الآيات ويتدبرها، فيزيد يقينه ويثبت حفظه. ولهذا، كان التفسير عوناً عظيماً لحفاظ القرآن الكريم في كل زمان ومكان.

5. المراجعة اليومية للقرآن

من أعظم ما يعين حافظ القرآن على تثبيت ما وعاه قلبه:

المراجعة اليومية المنتظمة، وقد أشرنا في كتابنا رحلة حفظ الوحيين إلى طرائق المراجعة وكيفية تقسيمها. ويكفينا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عَقْلِهَا"، ليبين لنا أن الغفلة عن التكرار تؤدي إلى ضياع الحفظ.

وقد جرّب العلماء والطلبة أن ما "تكرّر، تقرّر"؛ فمن جعل لنفسه ورداً ثابتاً صباحاً أو مساءً، عاش مع القرآن، وكان حفظه أثبت، بينما من أهمل أوراده وجد نفسه عرضة للنسيان والفتور.

ولنا في طلاب المدارس القرآنية أمثلة كثيرة: فمنهم من واطب على مراجعته اليومية حتى صار القرآن يجري على لسانه بسهولة، ومنهم من أهمل أيامًا معدودات، فبدأ ينسى، وربما احتاج إلى شهور طويلة ليعود لما كان عليه.

غير أن الحافظ قد يصاب بالفتور أو الانتكاسة، والسبب في ذلك غالباً أمران:

- صحبة السوء، التي تلهي عن كتاب الله
- وساوس الشيطان، الذي يصد عن الذكر والطاعة.

وللتغلب على هذه الآفات، لا بد من:

- الإكثار من الاستغفار، والأذكار اليومية (الصباح، المساء، النوم، ما بعد الصلاة).
- ملازمة المصحف، ومداومة المراجعة
- مصاحبة الرفقاء الصالحين من طلاب المساجد.
- حضور حلق الذكر، والانتفاع بمواعظ العلماء

● المحافظة على الصلوات جماعة في المسجد

فالمراجعة اليومية للقرآن ليست مجرد عادة، بل هي حياة يعيشها الحافظ مع كلام الله، يجدد بها إيمانه، ويستمد بها نورًا يقينه من الغفلة والانتكاس. نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، الذين هم أهله وخاصته.

6. الصحبة الصالحة مع الحافظ:

ذكرنا في الرسالة السابقة مصطلحي الانتكاسة والفتور، وبيننا أن من أعظم أسباب النجاة منهما: أن يحرص الحافظ على صحبة صالحة. فالرفيق الصالح يشبه الثمرة الطيبة التي تنضج وتفيد صاحبها، بينما الرفقة السيئة كالثمرة الفاسدة التي تضر ولا تنفع. وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك؛ إما أن يهديك، أو تبتاع منه، أو تجد منه ريحًا طيبة، بينما الجليس السوء كنافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك، أو تجد منه رائحة خبيثة.

هذا الحديث يضع أمامنا قاعدة عظيمة: أن الانسان يتأثر بمن يخالط؛
فإما أن يرتقي بإيمانه وحفظه، وإما أن يضعف وينحدر مع رفقة
السوء.

❖ من ثمرات الصحبة الصالحة

- التذكير بالآخرة، والحرص على مرضاة الله.
- الإعانة على الطاعة، والمداومة على مراجعة القرآن.
- التنافس في الأعمال الصالحة، ورفع الهمة في طلب العلم.
- تثبيت القلب عن الفتن، والصبر عن الابتلاء.

فالصحبة الصالحة ليست مجرد رفقة عابرة، بل هي عون على
الثبات في طريق الحفظ، وسند في مسيرة العمر. فاختر رفقاءك كما
تختار ثمارك: طيبًا نافعًا، يذكرك بالله ويقربك من الجنة.

7. البركة التي يمنحها القرآن:

القرآن الكريم هو أعظم ما أوتي المسلمون، كتاب أنزله الله عزّ وجلّ
على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون نورًا وهدى ورحمةً
للعالمين. وقد ذكرنا في الرسائل السابقة فضل الاستماع للقرآن،

وأهمية المراجعة اليومية، وخطورة الهجر، وأثر الصحبة الصالحة. والآن نفتح بابًا آخر من أبواب الذكر الحكيم، بابًا تتوق إليه النفوس وتتسوّف له القلوب: باب البركة.

قال تعالى: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا" (الألّباب (ص:29). فالبركة التي يفيض بها القرآن على أهله لا تنقطع، بل تتضاعف كلما ازدادوا قربًا منه، تلاوةً وتدبرًا وعملاً.

❖ صور البركة:

- **بركة الوقت:** كثير من الحفاظ يروون أنهم إذا بدأوا يومهم بتلاوة وردهم من القرآن، شعروا أن وقتهم قد اتسع، فيجزون أعمالًا كثيرة في ساعات قليلة. أعرف شابًا كان يشتكي من ضيق وقته مع الدراسة الجامعية والعمل، لكنه لما التزم بقراءة جزءٍ يوميًا، صار ينجز ضعف ما كان ينجزه من قبل، وكأنه أعطي بركة في ساعاته.
- **بركة في الرزق:** حدثني أحد التجار أنه ما إن بدأ يفتح يومه بقراءة ما تيسر من القرآن، حتى لاحظ أن تجارته أحيطت

بالبركة، فصار يربح بأقل جهد، وكيفيه القليل فيبارك الله له فيه، وهو يقول: "كنت أخشى الفقر دائماً، أما اليوم فإني أشعر أن الرزق يسعى إلي كما تسعى الظلال خلف أصحابها".

- **بركة في الأولاد:** نرى كثيراً من البيوت التي يتلى فيها القرآن، ترزق أولاداً صالحين. أعرف أباً كان يحرص على أن يجلس مع أولاده كل ليلة فيقرأ معهم ورداً قصيراً من القرآن، واليوم صار أولاده جميعاً يحفظون أجزاء منه، ويؤمنون الناس في صلاة التراويح، وأصبحوا بركة لأهلهم ودعامة للمسجد.

- **بركة في القلب والنفس:** حدثتني إحدى الأخوات أنها كانت كثيرة القلق لا تنام الليل، فلما بدأت تستمع يومياً لسورة البقرة قبل النوم، انشرح صدرها وهدأت نفسها، حتى صار نومها أطيب من أي دواء. وهنا يصدق قول الله تعالى: "أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (الرعد:33)

- **بركة في العلم والفهم:** أكثر العلماء الكبار الذين تركوا أثراً خالداً في الأمة كانوا أهل قرآن قبل أن يكونوا أهل فقه أو

حديث. الإمام الشافعي رحمه الله كان قد ختم القرآن صغيراً،
وكان القرآن مفتاح بركة علمه وفهمه، حتى قال فيه العلماء: "
فتى قريش".

فالبركة التي يمنحها القرآن ليست محصورة في جانب واحد، بل هي
شاملة لحياة المسلم كلها: في وقته، ورزقه، وأهله، وعلمه، وقلبه.
وكلما ازداد قرباً من القرآن، ازداد حظه من هذه البركات.

8. الخوف والرجاء مع القرآن

القرآن الكريم كتاب هداية، جمع بين الترغيب والترهيب؛ فكما يحدثنا
عن الجنة وما فيها من نعيم مقيم، من أنهار تجري، وثمار دانية،
وقصورٍ من ذهب وفضة، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا
خطر على قلب بشر؛ كذلك يحذرنا من النار وما فيها من سعير، ومن
عذاب أليم، وزقوم، وغل وسلاسل، و أصنافٍ من العذاب التي تقشعرُّ
منها الجلود.

لكن هذه الأوصاف ليست مجرد أخبار نسمعها، بل هي تربية لقلوبنا،
وتمهيد لعنصرين عظيمين لا يستقيم إيمان العبد إلا بهما: **الخوف**
و**الرجاء**.

وقد شبّه العلماء المؤمن بطائر، لا يحلق في سماء العبودية إلا
بجناحين: **جناح الخوف، وجناح الرجاء**، ولا يمكنه أن يستقيم إن
غلب أحدهما الآخر. فإذا غلب الخوف قنط العبد ويئس، وإذا غلب
الرجاء تهاون واغتر. وإنما كمال الإيمان في التوازن.

• معنى الخوف

الخوف هو أن يستشعر المؤمن عظمة الله، ويوقن بأن الله مطلع على
سره وعلا نيته، فيرتعد قلبه، إذا وقع في ذنب، ويسرع إلى التوبة
مخافة العقوبة.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذا سمع قوله تعالى: "**وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**" يسقط مغشياً عليه من شدة
الخوف، ويمرض أياماً لا يعرفه الناس خلالها. وكان يقول: "لو نادى

مناد أن كل الناس يدخلون الجنة إلا واحداً، لظن عمر أنه ذلك
الواحد"

• معنى الرجاء

أمّا الرجاء، فهو أن يطمع العبد في رحمة ربّه، وأن يحسن الظن به،
وأن يوقن أن الجنة لا تنال إلا بفضلته وكرمه، لا بمجرد عمل العبد.
ولذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "لو جاءني يوم القيامة
أن الله يغفر لكل الناس إلا واحداً، لرجوت أن أكون أنا ذلك الواحد."
وكان بعض السلف يقول: "والله لو خيرت بين أن يحاسبني أبي أو
ربي، لاخترت ربي، لأنه أرحم بي من أبي."

• المؤمن بين الخوف والرجاء

المؤمن في قراءته للقرآن يعيش هذا التوازن؛ فإذا قرأ آيات النار،
رقّ قلبه وخشي أن يكون من أهلها، فيستعيز بالله ويجدد توبته. وإذا
قرأ آيات الجنة، امتلأ قلبه أملاً، ورفع يديه داعياً أن يكون من أهلها.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا"، وكان مع ذلك أكثر الناس تبسما ورجاء.

• تطبيق عملي لحافظ القرآن:

إذا مرَّ بآية عذاب، وقف قليلا وقال: " اللَّهُمَّ نَجِّنِي مِنَ النَّارِ"، واستشعر أنَّه المقصود بالخطاب. وإذا مرَّ بآية رحمة، ابتسم قلبه وقال: " اللهم اجعلني من أهل هذه الرحمة." وإذا مرَّ بآية أمر أو نهى، بادر ليطبّقها، لأنه يعلم أن الرجاء لا يصح مع الإصرار على المعصية، وأن الخوف لا يصح مع اليأس من رحمة الله.

فالخوف والرجاء إذن ليسا مجرد معاني جامدة، بل هما حياة قلبية يعيشها المؤمن كلما قرأ القرآن؛ يخاف، فيردعه خوفه عن المعاصي، ويرجو، فيدفعه رجاءه إلى الطاعات. وبهذا يكون القرآن رفيقاً له في الطريق إلى الله، يردعه بجناح الخوف، ويحلقه بجناح الرجاء، حتى يبلغ جنات النعيم.

9. نور القرآن في الظلمات

يمر الإنسان في حياته بمواقف صعبة، لحظات من الضيق والحزن والابتلاء، فيشعر كأنّ الدنيا أغلقت في وجهه، ولا يرى مخرجًا. وهنا يتجلّى دور القرآن الكريم، فهو نور الله الذي لا ينطفئ، ودواء القلوب الذي يبدّد كلّ هم، كما قال تعالى: " قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (المائدة:15)."

فالقرآن ليس مجرد كلمات تُتلى، بل هو حياة تغرس في القلوب، وهداية تضيء العقول، وطمانينة تسكن الأرواح.

• صور النور

• نور في لحظة الحزن

أحد الشباب مرّ بابتلاء كبير حين فقد والده، وكان يعيش في حزن شديد. فنصحه أحد المشايخ أن يلازم قراءة سورة الرحمن. يقول: " كلما قرأت قوله تعالى: " فَبَاقِيَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " أحسست أن الله يذكرني بنعمه، وأن مصيبتتي مهما عظمت لا تنسيني فضله. " فخف حزنه واطمأن قلبه.

• نور في القبر

جاء في الحديث أن سورة الملك تشفع لقارئها وتكون له أنيساً في قبره. وقد كان بعض السلف لا ينامون حتى يقرؤونها، إيماناً بأن القرآن سيكون النور في ذلك المكان الموحش.

• نور عند القرارات المصيرية

رجل تردّد طويلاً في قبول عملٍ خارج وطنه، وكان قلقاً من ضياع أهله وأولاده. ففتح مصحفه وقرأ حتى بلغ قوله تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" (الطلاق: 2-3). يقول: "شعرت أن الله يوجهني مباشرة، فاطمأن قلبي وأقدمت على القرار."

• نور في الأخلاق والمعاملات

فتاة كانت كثيرة الغضب، تعترف أنها كانت لا تملك نفسها عند الخصام. ثم داومت على قراءة سورة النور، وتدبّرت آياتها عن العفة وغلّ البصر والحياء. تقول: "تغيّر طبعي تدريجياً وأصبحت أتمالك نفسي، وأشعر أن القرآن يرّبّيني كل يوم."

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" (رواه مسلم).

فالقرآن نور في الدنيا يشرح الصدور، نور في القبر يبذلّ الوحشة، ونور يوم القيامة يسعى بين يدي المؤمن. كلما أمسكت به قوِي نورك، وكلما ابتعدت عنه أظلم طريقك.

10. بيئة حافظ القرآن

حافظ القرآن يعيش في عالم خاص؛ فهو يسير بين الناس، لكنه يحمل في صدره ما لا تحمله الجبال: كلام الله عزّ وجلّ الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله. وهذا الشرف وحده يكفي أن يرفع به قدره في الدنيا والآخرة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله"، فالحافظ مقدّم في الإمامة، ومقدّم في اللحد عند الدفن، وله شفاعة عظيمة يوم القيامة، حيث يشفع لسبعين من أهله.

لكن هذه المنزلة العالية، تضع الحافظ في موضع اختبارٍ عظيم؛ فهو محلّ أنظار الناس، يتابعون حركاته وسكناته، يفرحون بصوابه،

لكنهم ربّما يقسون عليه عند خطئه. كم من حافظٍ نظر إليه كأنه معصوم من الزلل، فإذا أخطأ في قراءة أو قصر في عبادة، أقاموا الدنيا ولم يقعدوه، ونسوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون."

لقد كان السلف الصالح يقدرّون الحافظ، لكنهم في الوقت ذاته يعذرونه. فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا بعث جيشاً قدم فيه صاحب القرآن، لأنّه يعلم أن من يحمل القرآن يحمل نورا يرشده. وفي عصرنا، نرى أطفالاً لم يبلغوا الحلم وقد امتلأت صدورهم بالقرآن، فيكرمون في المدارس والمحافل، لكنهم أحياناً يواجهون ضغطاً نفسياً شديداً لأن المجتمع ينظر إليهم بعين المثالية، فيظنون أنهم لا يخطئون ولا يجوز لهم الزلل، بينما الحافظ يبقى بشرا يحتاج إلى دعم واحتواء.

إن بيئة الحافظ لا ينبغي أن تكون ساحة محاسبةٍ دائمة، بل حديقة رحمة تعينه على الثبات، تذكره بالقرآن إذا نسي، وتسانده إذا فتر، وتفرح به إذا أبدع. والبيئة الصالحة هي التي تحيطه بالصحة

الصالحة، بالمربّي الحاني، والمجالس القرآنية التي تبقى قلبه متعلقًا بالوحي.

أما الحافظ نفسه، فعليه أن يزن هذا الفضل بميزان التواضع والخشية، وألا يغتر بما أكرمه الله به. فليس الشرف في أن يحفظ الآيات على ظهر قلب فقط، بل في أن يعمل بها، وأن يراها الناس قرآنا يمشي على الأرض.

إن الناس قد يرفعون الحافظ بأعينهم، لكن الكرامة الحقيقية يوم القيامة، حين يقال له: "اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها".

ثمار الحديث النبوي

11. هجر السنة (هجر الفهم أو التطبيق)

رأينا في رسالة سابقة خطورة هجر القرآن وصوره المتعددة، واليوم نقف عند ركن آخر لا يقل شأنًا، وهو سنة النبي صلى الله عليه وسلم، التي جعلها الله عز وجل مكملة لكتابه ومبينة لأحكامه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه". فمن أعرض عن السنة فقد أعرض عن وحي ثان، ومن هجرها فقد أغلق على نفسه بابا عظيما من أبواب الرحمة والهداية.

• معنى هجر السنة

هو أن يترك المرء العمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أو تقريره، سواء عن جهل أو إعراض، أو بعدم التطبيق.

• صور الهجر

1* هجر الفهم

قد يسمع الإنسان حديثاً صحيحاً، لكنه لا يفهمه على وجهه، فيبقى معناه بعيداً عن قلبه وعمله. مثال: حديث النبي صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". قد يظن البعض أنه خاص بالأقارب أو الأصدقاء، بينما هو في حقيقته مبدأ عام يشمل كل مسلم بل حتى التعامل الإنساني مع الآخرين. وكذلك حديث " من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، فبعضهم يحصره في الصمت فقط، مع أنه قاعدة واسعة تشمل ترك كل فضول القول والعمل، والانشغال بما ينفع.

2* هجر التطبيق

قد يفهم الإنسان السنة، لكنه يكتفي بمعرفتها دون أن يعمل بها. من يعرف فضل صلاة الجماعة ويتلو أحاديثها، ثم يتركها تكاسلاً، فهذه صورة من صور هجر التطبيق. ومن يدرك قول النبي صلى الله عليه وسلم "تهادوا تحابوا"، ثم لا يحرص على تطبيقه ولو بأبسط هدية تزرع المودة، فقد أعرض عن العمل بالسنة وإن حفظ النص.

وكذلك من يقرأ قول النبي صلى الله عليه وسلم "يسيروا ولا تعسروا"، ثم يتشدد في معاملاته أو في أحكامه على الناس، فقد هجر العمل بروح السنة.

❖ إن الخطر في هجر السنة أنها الطريق العملي لترجمة القرآن إلى واقع، وبها يتحقق الاتباع الصادق للنبي صلى الله عليه وسلم الذي أوصانا بقوله: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بنواجذ".

ولعل ما ينتظرونه لاحقاً أعرق أثراً وأقرب إلى القلب، مما يجعلنا نتذوق حلاوة النصوص بوجهٍ جديد، يفتح أمامنا آفاقاً لم نألفها من قبل.

12. تدبر معاني الحديث

إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة توأمان لا
يفترقان، كلاهما نور يهدي إلى صراط المستقيم،
وكلاهما يرفع العبد أو يضعه بحسب قربيه منهما أو
هجره لهما. وإذا كان التدبر في آيات القرآن هو السبيل
لفهم مراد الله تعالى، فإنّ تدبر معاني الحديث النبوي هو
البوصلة التي ترشدنا إلى الفهم الصحيح لرسول الله
صلى الله عليه وسلم، ثم إلى التطبيق العملي التي يترجم
هذا الفهم إلى.

ولكي نحقق التدبر الحق، لا بد أن نسلك بعض الطرق
العملية، منها:

- الرجوع إلى شروح كتب الحديث: مثل "فتح
الباري" لابن حجر، أو "شرح النووي على
مسلم"، فهي تنير الطريق وتكشف الغوامض
وتبين المعاني.

● **الجلسات الایمانیة: أن تجلس فی حلقة علم مع**

شیخ أو داعیة یشرح الحدیث، فتسمع بسمعك
وتعیش بأحاسیسك مع کلمات النبی صلی الله
علیه وسلم، كما كان الصحابة یتلقون العلم
مشفهة.

● **التلقین والمشفهة: أن یلقنك أستاذك الحدیث**

بلفظه الصحیح وضبطه الإعرابی، فتعتاد لسانك
النطق به كما نطق به رسول الله صلی الله علیه
وسلم، بلا تحریف أو خطأ.

ولنا أن نتأمل مثالا عمليًا: لو قرأنا حدیث النبی صلی الله
علیه وسلم: " لا یؤمن أحدکم حتی یحب لأخیه ما یحب
لنفسه"، فالتدبر لا یقف عند الألفاظ، بل یدفعك أن تسأل
نفسك: هل أنا حقا أحب الخیر لغيري كما أتمناه لنفسي؟
کیف یكون تطبیقي لذلك فی بیتي، فی عملي، فی
علاقتي بالناس؟ هنا ینتقل الحدیث من مجرد نص
محفوظ إلى سلوك حی.

وهكذا، كلما ازددنا تدبراً لمعاني الحديث، ازددنا قرباً
من السنة في صفائها ونقائها، ووجدنا فيها زاداً يهذب
نفوسنا، ويعيننا على الالتزام بهدي النبي صلى الله عليه
وسلم في حياتنا كلها.

وفي السطور القادمة، سنفتح معا باباً آخر من أبواب
السنة النبوية، يزيد الفهم رسوخاً، ويعين على الحفظ
ثباتاً، ويقربنا أكثر إلى التطبيق العملي...

13. شروح الحديث تعين على الحفظ:

حينما نتأمل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ندرك
أن حفظ الحديث ليس مجرد ترديد كلمات، بل هو عملية
عميقة تبدأ بالفهم وتنتهي بالتطبيق العملي. ولأجل هذا
كان العلماء على مرّ العصور يوصون طلابهم بالرجوع
إلى شروح الحديث قبل الانشغال بحفظه.

فالشرح لا يكشف لك معنًى غامضاً فحسب، بل يرسم أمامك صورةً متكاملة تعينك على استحضار الحديث في ذهنك. على سبيل المثال:

عندما يقرأ الطالب حديث " إنّما الأعمال بالنيات " من الأربعين النووية، فإنّ الرجوع إلى شرح الإمام النووي يفتح له أبواباً واسعة لفهم أثر النية في كل عمل، فيرسخ الحديث في قلبه قبل لسانه.

وحين يطالع قارئ فتح الباري لابن حجر العسقلاني، يكتشف أن كل باب في صحيح البخاري ليس عشوائياً، بل وضع ليحمل رسالة، فيثبت الحديث في الذاكرة مقرونا بمعناه.

وحتى في شرح صحيح مسلم للإمام النووي، نجد أمثلة عملية تبين كيف طبّق الصحابة رضي الله عنهم الحديث في حياتهم، وهذا وحده كفيل أن يجعل الحفظ حياً نابضاً لا مجرد ألفاظ.

إن المعلم حين يستعين بهذه الكنوز إنما يقدم لطلابه حديثاً نابضاً بالمعنى، لا نصاً جامداً، فيثبت في القلب والذاكرة معاً. ومن أراد أن يحفظ حفظاً راسخاً فعليه أن يجعل هذه الشروح زاده، ولو بقراءة يسيرة قبل أن يبدأ في الحفظ.

وفي النهاية... يبقى الحفظ رحلة لا تكتمل إلا إذا شاركناها مع غيرنا؛ فاللسان الذي يكرّر، والعقل الذي يتدبر، يحتاجان إلى بيئة حيّة تذكر وتناقش وتذكر. ولعل هذا ما سنقف عنده في الصفحات القادمة...

14. مذاكرة الحديث بين الأصحاب:

في زاوية من زوايا مسجدٍ قديم، حيث السراج يبعث ضوءاً خافتاً يلامس وجوه الطلبة، جلس طالبان من طلاب العلم، أحدهما يدعى يوسف، والآخر عبد الرحمان. كانا قد فرغا للتوهما من مجلس شيخهما الجليل، الذي أملى عليهم حديثاً من صحيح البخاري. قال يوسف وهو يتصفح ألواحه:

- "أعد علي يا عبد الرحمن، ما الحديث الذي أخذناه؟ أخشى أن يزل لساني في لفظه."

ابتسم عبد الرحمن، وردد بصوتٍ خاشع:

- إنّما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..." ثم توقف وقال: "لكن يا يوسف، لم أفهم جيداً كيف تكون النية أساس كلّ عمل؟"

هنا دخل يوسف في حوارٍ معه، فقال:

- تذكر ما شرحه الشيخ لنا من قبل، أن الرجل قد يخرج للجهاد مثلاً، فإن خرج رياء فلا نصيب له عند الله، وإن خرج ابتغاء مرضاته فهو في عليين. هذا المعنى حين تستحضره، يرسخ الحديث في قلبك، لا تنساه ولو مرّت الأيام."

وبينما هما يتذاكران، أقبل الشيخ عليهما بخطواتٍ هادئة، وقد التقط طرق حديثهما. جلس إلى جوارهما وقال:

- "أحسنتما يا بنيّ، هكذا يكون العلم حيّاً: أن تردّدا الألفاظ، ثم تفهما المعنى، ثم تذكرنا بعضكما بعضاً بما سمعتم. إن المذاكرة بين الأصحاب

تحفظ العلم كما تحفظ النار اشتعالها بالنفخ. فلو
انقطع الهواء خمدت، وكذلك العلم إن ترك دون
مذاكرة يذبل وينطفئ."

ثم قصّ الشيخ عليهم خبرًا عن طلاب الإمام مالك،
كيف كانوا يتذكرون حديثًا واحدًا بينهم مرارًا، حتى
إذا أصبحوا كأنما نقّش في قلوبهم نقشًا لا يمحي.
أطرق يوسف برأسه وقال:

- "والله، لقد شعرت أن الحديث أحكم في صدري
الآن، أكثر مما لو كررته وحدي."

فأجابه عبد الرحمن:

- "صدق الشيخ، الصحبة في المذاكرة نعمة، فهي
تذكّرنا بما نغفل عنه، وتشجعنا على الثبات."
ابتسم الشيخ وقال:

- "وما أجمل أن يكون للمرء أصحاب صالحون،
يرفعونه كلما تعثّر، ويذكرنه إذا نسي. فالعلم لا
يثمر إلا في بيئةٍ صالحة، والقلوب أن اجتمعت
على الحق زادها الله نورًا فوق نور."

وهنا عمّ السكون في المجلس، وكأن أنفاس الطلبة تهيأت
لتلقي درسٍ جديد عن قيمة الصحبة الصالحة في طريق
الحديث...

15. الصحبة الصالحة بينطلاب الحديث:

يقال: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل،
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذاً خليلاً
لاتخذت أبا بكر خليلاً".

إنّ هذه الكلمات النبوية العظيمة تبرز قيمة الصحبة
الصالحة، فالصديق ليس مجرد رفيق طريق، بل قد
يكون عوناً لك على طاعة الله، أو عثرة في دربك.
ولطلاب العلم، وحفظة القرآن والحديث خاصة
تتضاعف الحاجة إلى من يشجعهم في لحظات الفتور،
ويذكرهم إذا نسوا، ويعينهم إذا ضعفوا.

وقد رأينا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته
الكرام أن الصحبة لم تكن ترفاً ولا مجاملة، بل ركيزة

أساسية في الثبات على الحق. فأبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار كان مثالا للصاحب الوفي، وكذلك كان الصحابة يتذكرون الوحي ويثبت بعضهم بعضا، حتى خرج جيل حمل الدين ونشره في الآفاق.

ومن يتأمل سير العلماء من بعدهم يجد أنهم لم يبلغوا ما بلغوا إلا بصحبة الصالحة تشاركهم المذاكرة، وتفتح لهم آفاق الفهم، وتضاعف ثمرات الحفظ. وكأن هذه الصحبة الطيبة سر من أسرار التوفيق في طريق الحديث والسنة.

لكن الطريق لا يتوقف هنا، فهناك سر آخر من أسرار العلم يورث البركة في القليل، ويجعل ما يتعلم ويعلم يمتد أثره أضعافا مضاعفة، كالنور، إذا أشرق لا ينطفئ..."

16. البركة في تعلم السنة وتعليمها:

السنة النبوية ليست مجرد نصوص محفوظة أو كلمات متداولة، بل هي نور يضيء الطريق، وبركة تحل في حياة من يتعلمها ويعلمها. فهي امتداد للقرآن الكريم، وتفسير عملي لمعانيه؛ ولهذا كان الاهتمام بها مدار شرف الأمة وعلوّها.

فالذي يتعلم حديثاً واحداً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يبلغه، قد يحمل معه بركةً تتجاوز حدود الزمان والمكان. كما قال صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه". فانظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم مجرد التبليغ سبباً في نضارة الوجه، أي اشراقه في الدنيا وبياضه يوم القيامة. وهذه البركة ليست في المظهر فقط، بل في القلب، والرزق، والعمر، والعمل.

ولقد رأينا ثمرة هذا في سير السلف: فكم من عالم عاش
عمرًا قصيرًا، لكن ببركة السنة بقي علمه خالدًا إلى
يومنا هذا. الإمام النووي مثلاً لم يعيش سوى بضع
وأربعين سنة، لكنه ترك لنا مؤلفات أصبحت أساساً في
بيوت المسلمين كـ "الأربعين النووية" و "رياض
الصالحين". أليست هذه بركة العلم؟

وبركة السنة لا تقتصر على العلماء، بل تصل لكل من
يتعلّمها ويعمل بها. الطالب الذي يحفظ حديثاً ويشرحه
لزملائه، يجد أثره في لسانه وبيانه. الأمّ التي تروي
حديثاً لأولادها قبل نومهم، تزرع فيهم خلقاً قد يغير
مستقبلهم. المعلم الذي يشرح حديثاً في حلقة، قد يهتدي
به قلب، ويكون ذلك في ميزان حسناته إلى يوم القيامة.

إنها بركة مضاعفة: بركة في الوقت، إذ يبارك الله
للطالب في ساعات يومه، وبركة في الذرية حين يورث

حبّ السنة لأبنائه، وبركة في الذّكر؛ إذ يخلّد اسمه مع
أهل العلم والدعوة.

ومن تأمل وجد أن هذه البركة تنبع من الإخلاص: فمن
تعلم السنة طلباً للرفعة ضاعت بركتها، ومن تعلّمها حبّاً
للّهِ ورسوله، عظّمه الله بها.

ولعلّ أعظم ما تمنحه السنة لنا بعد العلم والعمل، هو أنّها
تزرع في قلوبنا توازناً فريداً بين الخوف والرجاء في
رحمته، كما جسد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته
ذلك في مواقف تهزّ القلوب وتحيي الأرواح...

17. الخوف والرجاء من مواقف نبوية

الحياة لا تستقيم إلا بجناحين: جناح الخوف من الله،
وجناح الرجاء في رحمته. ومن فقد أحدهما سقط في وادٍ
سحيق، إما قنوطٍ مهلك أو أمنٍ مخدّر.

وقد جسّد النبي صلى الله عليه وسلم هذين المعنيين في سرّيته بأروع صور، فكانت مواقفه دروساً باقية، تنقش في قلب المؤمن أن العبودية توازن بين رهبة وخشية، وأمل ورجاء.

من أعظم مشاهد الخوف، ذلك اليوم الذي بكى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتلت لحيته من الدموع، وهو يقرأ قول الله تعالى: "إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (المائدة: 118). كان ينجي ربه لأجل أمته، خائفاً أن يضيعوا أو يقصروا، ثم يرفع رأسه راجياً المغفرة لهم. مشهد يجمع بين رهبة المسؤولية وعظمة الأمل برحمة الله.

ومن مواقف الرجاء، حين جاءه رجل شيخ كبير، وقال: "يا رسول الله، رجل غدر وفجر، فما له من توبة؟" فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بوجه

بشوش: "أسلمت فغفر لك ما كان منك". فانقشع سواد قلبه، وأشرق رجاءه في ساعة واحدة. كان ذلك الرجل يظن أن خطاياه جبل لا يزول، فإذا برحمة الله تذيب الجبال في لحظة صدق.

وكذلك يوم بدر، رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه حتى سقط رداؤه من على كتفيه، وهو يناشد ربه قائلاً: "اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض". خوف عظيم على مصير الدعوة، لكنه رجاء في نصر الله. فجاءه الجواب الإلهي: "إِنِّي مُمِدُّكَ بِمَلَائِكَةٍ"، وإذا بالقلوب تستبشر، وتتحول رهبة الموت إلى يقين النصر.

حتى في حياة الصحابة، نرى هذا التوازن، فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يقول: "لو نادى مناد من السماء أن الناس كلهم في الجنة إلا واحداً، لخشيت أن أكون أنا هو، ولو نادى أن الناس كلهم في النار

لرجوت أن أكون أنا هو. " خوف لا يترك مجالا للغفلة،
ورجاء لا يسمح لليأس أن يتسلل.

إنّها دروس نبوية، وصحابة كرام، تنحت فينا معنى
العبودية المتوازنة: نخاف ذنوبنا فلا نغتر، ونرجو
رحمة الله فلا نقنط.

ومتى استقرّت هذه المعاني في القلب، صار العبد يطير
بجناحي الخوف والرجاء، حتى يحط في جنان الخلد.

نصائح و توصيات:

- اجعل لسمعك نصيباً من القرآن يومياً، فبركة
الاستماع لا تقل عن بركة التلاوة.
- لا تهجر القرآن، فالهجر بداية ذبول الروحي،
والمراجعة حياة للقلب قبل أن تكون للحفظ.
- اجعل التدبر رقيقاً لتلاوتك، فالتلاوة بلا فهم قد
تحجب عنك نور الهداية.

- التفسير والشروح مفاتيح الفهم، فلا تستغن عنها
إن أردت حفظاً راسخاً وعلماً نافعاً.
- خصص وقتاً ثابتاً لمراجعة ما حفظت، فاليوم بلا
مراجعة كالغرس بلا سقي.
- اختر صحبة تشاركك هم الحفظ والمراجعة، فإن
القلب يضعف وحده ويقوى بالجماعة.
- استشعر بركة القرآن في وقتك ورزقك وهمك،
فبركته تمتد في تفاصيل الحياة.
- عش مع الخوف والرجاء وأنت تتلو القرآن، فهما
جناحان يقودانك نحو الله.
- اجعل القرآن نورك في ظلمات الفتن والضياغ،
فهو دليل القلب الحائر.
- هيئ لنفسك بيئة طيبة تعينك على الحفظ، فالمكان
والزمان والصحبة جزء من سرّ التوفيق.
- لا تهجر السنّة، فهي الشرح العملي للقرآن،
وهجرها هجر للنورين معاً.

- تدبّر الحديث النبوي كما تتدبر القرآن، فالفهم يسبق التطبيق.
- عد إلى شروح الحديث، فإنها زاد الحافظ وعماد المعلم.
- ذاكر الحديث مع أصحابك، فالذاكرة تحيي العلم في القلوب.
- الزم طلاب الحديث الصالحين، فإن الصحبة تفتح لك أبواب الثبات.
- تعلّم السنّة وعلمّها، فالبركة في أن تكون همزة وصل بين الوحي والناس.
- استحضر مواقف النبي صلى الله عليه وسلم بين الخوف والرجاء، فهي زاد يلين القلوب ويحييها.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تشرق
القلوب بنور القرآن والسنة، فتهتدي إلى الصراط
المستقيم، وتصير حياتها رحلة مباركة ما بين الحفظ
والتدبر، وما بين العمل والاقتداء.

لقد كانت هذه الرسائل صفحاتٍ من القلب، كتبتها بمداد
الصدق، لتكون تذكرةً لحافظ الوحيين، ولطالب العلم،

ولكل من أراد أن يجعل من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم زادًا في دنياه، ونورًا في آخرته.

فتحدّثنا عن فضل الاستماع للقرآن، وعن هجره وعواقبه، وعن التدبر الذي يفتح للقلوب أبواب الفهم، وعن التفسير الذي يعين على الحفظ، وعن الصحبة الصالحة التي تشد من أزر السالكين، وعن البركة التي ينثرها القرآن والسنة في حياتنا، وعن الخوف والرجاء اللذين يوازنان خطانا نحو الله... كلها محطات في رحلة واحدة، غايتها أن نعيش مع الوحيين حياة تليق بشرفهما. لقد أيقنّا من خلال هذه الصفحات أن القرآن والسنة ليسا مجرد نصوص تحفّظ أو تتلى، بل هما حياة كاملة تعاش، حياة تبارك الأوقات، وتزكّي القلوب، وتهذب النفوس، وتفتح لنا أبواب الطمأنينة واليقين.

وأعلم، وأنت تقرّأ هذه السطور الأخيرة، أن الطريق طويل، وأن المثابرة فيه تحتاج إلى صدقٍ وعزيمة، لكن

حسبك أن لك ربًا كريمًا يجزي على القليل كثيرًا، ويقبل منك الضعف ما دمت صادق النية، مخلص القلب.

فليكن هذا الكتاب بداية عهدٍ جديدٍ مع الوحيين: عهد تلاوة وتدبر، عهد حفظ وعمل، عهد صحبةٍ سالحة وسعي صادق، عهد خوفٍ من الله ورجاءٍ في رحمته. فإن صدقنا في هذا العهد، جمعنا الله على مائدة القرآن والسنة في الدنيا، ثم أظننا في ظلّ عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ثم ساقنا برحمته إلى الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، و صلى الله عليه وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

الإهداء..... Erreur ! Signet non défini.

مقدّمة.....

ثمار القرآن.....

فضل الاستماع إلى القرآن الكريم.....

أمثلة من السيرة والقرآن.....

هجر القرآن.....

تدبر القرآن الكريم.....

التفسير يعين على الحفظ.....

المراجعة اليومية للقرآن.....

.....	الصحبة الصالحة مع الحفاظ
.....	البركة التي يمنحها القرآن
.....	الخوف والرجاء مع القرآن
.....	نور القرآن في الظلمات
.....	بنة حافظ القرآن
.....	ثمار الحديث النبوي
.....	هجر السنة (هجر الفهم أو التطبيق)
.....	تدبر معاني الحديث
.....	شرح الحديث يعين على الحفظ
.....	مذاكرة الحديث بين الاصحاب
.....	الصحبة الصالحة بين طلاب الحديث
.....	البركة في تعلم السنة وتعلّمها
.....	الخوف والرجاء من مواقف نبوية
.....	نصائح وتوصيات

خاتمة
